(الانتداب) مع الخواجه شلومو (الحركة الصهيونية) (الـرجعية الفلسطينيـة)، واظهار ملامـــح النقيض عبر الاعرابي الحكيم (الشعب الفلسط ، فإن مفاتيح الدلالة، باستثناء جملة الاعرابي وخاتمة القصة، كانت من خارج الشخصيات، و و السرد الخارجي.

في هذه النقطة، يتماثل سلمان ناطور مع جمال بنور ة «العودة» (القدس: منشورات صلاح الدين، كانون الثاني ــ يناير ١٩٧٦) في القدرة على رسم ا العامة، ثم يفترقان. يذهب جمال بنوره، إلى الحكاية والقص التقليدي الوصفي، ويذهب سلمان ناطور اللوحة الفكرية، يتعقب الموقف ولا يتعقب الشخصيات التي تحمله، ويعودان فيلتقيان مرة اخرى، في ظ رة الملل من استكمال الكتابة، بحيث تبدو نهايات القصص، على الأغلب، وكأنها التعبير عن الرغبة في التخلص من الموضوع، بأي ضربة لونية، حتى ولو كانت خارج اللوحة.

دفاعاً عن العمال

اميل حبيبي سبق سلمان ناطور إلى «ساحة باريس»، في حيفا، حيث يبيع العمال الفلسطينيون قوة عملهم للمقاول «الاسرائيلي»، بمقاطع شديدة العمق والدلالة والتكثيف.

«رأيتهم في ساحة باريس (ساحة الحناطير فالخمرة في الزمان الأول) في حيفا التحتا، شبانا في عمر نوارة اللوز والمشمش اللوزي والتفاح أبي الخد الأحمر، من قلقيلية وطولكرم وجنين وطوباس والسيلة، ينتظرون سيارة المقاول. فيتحسس سواعدهم ويروم النظر في قاماتهم الممشوقة، فيمتطي منهم من اشتد ساعده وقست ساقه. فاستعدت حالنا قبل عشرين عاماً، فآمنت بأن هذا الشعب لا يفنى .

«ورأيتهم في ساحة العجمي بيافا، شباناً في عمر التمر، من غزة وجباليا وبيت لاهية وبيت حنون ودير البلح وخان يونس ورفح، يتمايلون على سيارة السيد المقاول كتمايل شواهد القبور فوق اخوانهم الشهداء في مقابر غزة. فآمنت بأن الأحياء يستطيعون هم أيضاً، أن يبقوا في وطنهم .

«ورأيتهم في المغيب يحشرون في سيارات النقل الضيقة كما حشروا، في يومهم، صناديق البطاطا وكوموا الشمندر في سيارات أحدث من السيارات التي ينقلون فيها عائدين إلى مدنهم وقراهم».

وسحر خليفة في روايتها «الصبار»، اقتحمت أيضاً، سوق العمل المأجور، بالتعاقد والتهريب، مع المؤسسات والمقاولين «الاسرائيليين»، وربطت، بمصير واحد، بين العامل زهدي والرفضاوي اسامة، حين استشهدا وهما يجابهان قوات الاحتلال.

لقد دخل الأدب معتركه الاجتماعي، على نطاق واسع، في الأراضي المحتلة على نكبتين، وظلت سخريته المرة اللاذعة، كما قال الشيخ في قصته: «مصادروا الفرح في مدينتي» من مجموعة «عائد الميعاري يبيع المناقيش في تل الزعتر» للكاتب الفلسطيني محمد علي طه:

«عندما تبكي تقع، وعندما تقع توقع، وعندما توقع تصبح خرقة في مزبلة، وعندما تصبح خرقة تظهر في كل وسائل الاعلام».

خارج الساحات المذكورة، لبيع قوة العمل، كان ينتشر، وما زال، عمال الضفة والقطاع، على مواقف التجمع في عسقلان واسدود وقرى المثلث، ودوار بيت دجن. في الصباح الباكر يبيعون قوة عملهم، وفي المساء، حيث تغيب سحنة المقاول، تنتشر مواقف الداعرات على الطرق، لسلب ما عملوا بـه في النهار، وللاجهاز على آخر رمق، يمكنهم من العودة إلى بيع طاقة سواعدهم.

يدخل سلمان ناطور إلى قصة «حائط الدرج النازل إلى مراحيض الرجال»، بمشهد من ساحة باريس في حيفا، حيث تتقابل صورتان: ايلي، ابن الخامسة، لم يدرك ماذا يفعل العشرات من «العربيم» في ساحة باريس، الساعة السابعة صباحاً، حتى أنه سـأل امه التي تمسك بيده، في الطريق إلى الروضة.